# فاعلية التراث الشعبي في رسم خصوصية السرد الروائي الجزائري المعاصر.رواية " الأسود يليق بك "أنموذجاً

**The Effectiveness of the Folklore in Drawing the Specificity of the Contemporary Algerian Novelist Narration. The Novel "The Black Fit You" as a Model**

**فريدة نوي[1,*]، أد-حجيج معمر[2]**

[1] -جامعة –باتنة1(الجزائر)، farida.noui@univ-batna.dz

[2]جامعة باتنة1(الجزائر) .Maahadjidj@yhoo.fr

**تاريخ الإيداع:**2021/05/02 **تاريخ المراجعة:**2021/07/23 **تاريخ النشر:** 2021/09/30

**ملخص:**

أخذت قضية التراث حيزاً كبيراً من الاهتمام لدى الدارسين في مختلف العلوم، لكونه مسألة لها صلة بالإنسان والمعرفة وعلاقتها بالزمان والمكان، ولأنه أحد شروط النهضة والانبعاث في ضوء جدل الأصالة والمعاصرة.

إن عملية إحياء التراث الشعبي والتمسك به أصبح ضرورة لإثبات الهوية والأصل والانتماء والوجود، فهو همزة الوصل بين الماضي والحاضر للعبور إلى المستقبل، وقد جنح الروائي الجزائري المعاصر إلىاستلهام هذا الموروث الشعبي لكونه ذاكرة الشعوب ولينتقل بذلك من المألوف إلىاللامألوف من خلال توظيفه في النصوص الروائية، مما دفعنا للبحث عن سر حضوره في الأعمال الروائية الجزائرية المعاصرة،للكشف عن الأبعاد الجمالية والفكرية التي أضافها داخل هذه النصوص.

**الكلمات المفتاحية:** التراث الشعبي، الموروث الثقافي، الهوية، الرواية المعاصرة، التراث المادي، التراث المعنوي.

***Abstract:***

*The issue of heritage has taken a great deal of interest among scholars in various sciences, for it is a matter related to man and knowledge and its relationship to time and place, on the one hand, and it is one of the conditions for renaissance and rebirth in light of the debate of authenticity and contemporary, on the other. The process of reviving the folk heritage and adhering to it has become a necessity to prove identity, origin, belonging and existence, as it is the link between the past and the present to cross into the future. In this vein, the contemporary Algerian novelist has tended to inspire this popular heritage as it is the memory of peoples and thus move from the familiar to the unfamiliar through employing it in fictional texts which prompted us to search for the secret of his presence in contemporary Algerian fictional works, to reveal the aesthetic and intellectual dimensions that he added within these texts.*

***Keywords:*** *folklore, cultural heritage, identity, contemporary narrative, tangible heritage, intangible heritage*

*المؤلف المراسل

**مقدمة:**

لقد استوعبت الرواية الجزائرية منذ نشأتها مشكلات المجتمع الشائكة وقامت برسم ملامح ومعالم المشهد الجزائري بكل أبعاده كما احتوت طموحات الإنسان الجزائري بآماله وآلامه،واستطاعت بذلك أن تصور الأحداث والوقائع والمتغيرات على مختلف الأصعدة،فكانت لسانه الناطق والمبرزة لكل خصوصياته التي يتمايز بها عن غيره من الشعوب وذلك من خلال الاشتغال على التداخل الأجناسي والانفتاح على فنون كثيرة محققتاً بذلك نقلة هامة ونوعية،فكان التراث الشعبي أحد أبرز هذه الفنون والذي أفادت منه خاصة في البنية العامة للرواية،أو في اللغة أو طرائق السرد أو تصوير الشخصيات،وكل هذا أسهم في إعادة قراءة التراث والانفتاح على الأشكال سردية الأخرى .

وقد جنح الروائي الجزائري المعاصر إلى هذا إلى هذا الموروث الثقافي الذي يعتبر ذاكرة الشعوب لينتقل بذلك من المألوف إلىاللامألوف أو الخارق مما يُمكنه من اختزال المسافات المكانية والأبعاد الزمانية لأجل تعميم المغزى وجعله صالح لكل زمان ومكان.

إن التراث هو انتقال ما تورث من تقاليد وعادات وخبرات وفنون ومعارف من زمن إلى زمن آخر بصفة مستمرة من مجتمع إلى مجتمع سواء كان هذا التراث مادياً أو معنوياً. وتوظيفه في النصوص الأدبية لم يأتي اعتباطيا،بل جاء بمناحي مختلفة، جمالية وفنية، وسياسية، واجتماعية، مما يجعل الرواية تدخل في منظومة ونجد الرواية الجزائرية قد استثمرت التراث الشعبي بشكل كبير،إذوسمت الخطاب الروائي بسمات مختلفة بحيث برزت كوكبة من الروائيين المبدعين ممن اهتموا بالتراث الشعبي قلباً وقالياً حيث احتفت نصوصهم الروائية بزخم هائل من أشكال التراث المختلفة وبألوانه المتباينة كون التراث يمثل هوية وأصالة المجتمع الجزائري، فقد كانحضوره في المتونالروائية بمثابة الدعامة والركيزة الأساسية التي يعول عليها الروائي في عمله الإبداعي بغية إثراءالنص السردي.

وللوصول إلى ذلك عمدنا الى البحث في سر حضور التراث الشعبي، والهدف من توظيفه والكشف عن الأبعاد الجمالية والفكرية وتجلياته في الرواية الجزائرية المعاصرة، وذلك بتتبعه في بعض النماذج الروائية لاستجلاء طبيعة المادة التراثية،والأكثر حضوراً فيها وذلك وفق المنهج الثقافي مع آليات الوصف والتحليل.

لقد أخذت قضية التراث الثقافي الشعبي حيزاً كبيراً من الاهتمام لدى النقاد والدارسين في مختلف العلوم، كونه مسألة لها صلة بتفاعل الإنسان والمعرفة وعلاقتها بالزمان والمكان،وأنه أحد شروط النهضة والانبعاث في ضوء جدل الأصالة والمعاصرة، كون التراث الثقافي قادرا على الخطاب النهوضي الحديث، وفي الحياة اليومية الإنسانية، حيث يتجلى التراث في شكل عادات وتقاليد في المناسبات المختلفة ذات طقوس خاصة، وكذلك في السلوكات والأفعال والأحوال ."كما وظف التراث في الخطاب النهوضي الحديث للدعوة إلىالارتكاز على الأصول في نقد الحاضر والماضي القريب بطريقة آلية،وتلقائية، ثم القفز بعد ذلك إلى المستقبل،وهو نهج سارت عليه كل النهضات المماثلة التي عرفها التاريخ من قبل"1، لأن عملية إحياء التراثوالتمسك به أصبحت عملية ضرورية ومهمة من أجل مواجهة تحديات الخارج من جهة ومن جهة ثانية إثبات للهوية والأصل والانتماء والوجود .

"ولأن الرواية الجزائرية من بين الأجناس الأدبية التي تقيم علاقة مع الموروث الشعبي خاصة بعد مرحلة الاستقلال التي عرفت كثيرا من الإبداعات والقدرات وإثبات مكانة الروائي الجزائري وشخصيته ومن ثمة بدأ الأُدباء يهتمون بقيمة التراث في الرواية منذ زمن ليس بالبعيد أي في السبعينيات"2، إذ نجد التراث قد تجلى النص الروائي بأشكاله المختلفة وبأنواعه المتباينة،فقد استطاع الروائي توظيفه بغية تحميله دلالات معاصرة جديدة داخل الأعمال الروائية التي اثبتت قابلية الصدق الفني والموضوعي لديه،ليعكس هموم العصر وقضاياه المختلفة، لإدراك الروائي الجزائري المعاصر أن توظيف التراث الثقافي في المتن الروائي يحقق له تواصلاً بين القديم والحديث،لذلك نجده يلتفت إلى تراثه الذي يُعد بمثابة هوية خاصة بما يميزه من تأثير في الحياة اليومية.

فالتراث الشعبي يمنح النص الروائي رونقاً فنياً وجمالياً ويعطيه هويته،فالروائي بمزجه بين الماضي والحاضر يمنح للرواية البعد الحضاري التاريخي والانتماء. كما أن استلهام التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة يعد بمثابة اعتراف بالشخصية والهوية التي ينتمي إليها الكاتب، فهو يعد بمثابةهمزة وصل أوجسر تعبر به من أعماق الماضي إلى الحاضر، ونظرا للأهمية التي يكتسبها التراث في الفكر العربي المعاصر توجب علينا تتبع فكرة التراث الشعبي وتتبع معانيه،ودلالاته،وذلك بدايةبتعريفه لغة واصطلاحا.

**أولا- تعريف التراث الشعبي:**

**1-لغة:**

التراث اسم مشتق من مادة (ورث)،وهي صفة لازمة من صفات الله عز وجل،وهو الدائم الباقي الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم".3

وهذا ما تؤكده الآية الكريمة {ولله ميراثُ السمّوات والأرض واللهُ بما يعملُون خبير}4فمعاني هذه المفردات تُشير إلى ما يكسبه الإنسان من نصيب مادي أو معنوي بوصفه ميراثا إلى اعتبار التراث ميراثاً يتركه سابقوه المقربون، وقد اجمع اللغويون على أن التراث هوما يخلفه الرجل لورثته "وان تاؤها أصلها الواو، أي الورث وله نظائر في كلمات أُخرى منها:التجاه أصلها الوجاه أي الجهة، ومنها التكلان وأصلها الوكلان أي الاعتماد على وكيل 5".

غير أن مدلول هذا المصطلح قد تضاءل وجوده إذا ما بحثنا عنه في مختلف الحقول المعرفية القديمة، كالأدب والفلسفة،وعلم الكلام، فلقد اقتصراستعماله في أن يحصل المتأخر على نصيب مادي من والد أو قريب،أوموصٍ أو نحو ذلك،أي أنه ارتبط بالمفهوم المادي المحسوس للأشياء المتوارثة، في حين تذهب السياقات اللغوية والفكرية في حقل الدراسات النقدية والإنسانية المعاصرة إلىاعتبار التراث "ذلك الموروث الذي تركه الأسلاف لخلائفهم من بعدهم وهو موروث ذو طابع فكري،وثقافي أكثر منه مادي، أو هو تراكم خلال الأزمنة من التقاليد والعادات،والتجارب،والخبرات، وعلوم وفنون شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والخلقي، يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"6، وبهذا أضحت لفظة التراث من أهم المصطلحات ذيوعاً في حقل الدراسات النقدية ، والإنسانية المعاصرة، لأسباب مختلفة تتعلق أغلبها بمسائل التحرر والنهوض "فالتراث هو كل ما وصل إلينا من الحضارة السائدة".7

أما ماهو موجود في اللغات الأجنبية الحية الحديثة، فنجد كلمتي "Hèritage"و"Patrimoine"وتعني الأولى "مجموعة الأملاك المكتسبة أو المنقولة عن طريق التسلسل".8والكلمة الثانية هي أيضاً "مجموعة الأملاك

الموروثة عن الأب والأم،أملاك العائلة، وهي عبارة عن ملك وإرث جماعي للمجموعة".9وقد اتسع المصطلح في الثقافة العربية والغربية ليشمل التراث الشعبي الحي،والإبداع الشعبي بأنماطه المتعددة والمتنوعة مثل:"النثر الفني في الحكاية والأمثال،والألغاز، والسير الشعبية،وحتى سائر فنون التعبير الأدبية، سواء أكانت صياغات أم منظومات ومواويل، أم فنونا تشكيلية،أم في العمارة بما تتميز به من زخرفة ونقوش".10

فالتراث هو الثقافة الشعبية،وأحد روافد الأُمة وخلاصة الحياة، وحصيلة المعارف والتجارب المتوارثة،فهو مرجعية عامة تتفرع عنها شعب كثيرة تشمل الأدب الشعبي والموسيقى والرقص، والعادات والتقاليد والمعارف والحرف الشعبية،كما يشمل التراث الرسمي من تراث اللغة العربية الفصحى من تفسير وطب ونحو .... وغيرها.

وبهذا نجده قد خرج من نطاق تلك التحديدات المعجمية البسيطة إلى مفهوم أوسع إذ أُضيفت له صفة الفاعلية والتأثير والشمول.

**2-اصطلاحا:**

يعد مصطلح "تراث" زئبقياً لا يكاد يثبت على دلالة واحدة، بل تعددت تعريفاته وتباينت مفاهيمه ومعانيه بحسب الدارسين،كون هذا المصطلح لم يستخدم بالمعنى الاصطلاحي إلا في العصر الحديث إذلم يكن له وجود في الدراسات العربية القديمة، بل تحدد ظهوره داخل الفكر العربي المعاصر وتباين مفهومه من باحث لآخر كلٌ حسب رأيه.

فنجد تعريف (محمدعابد الجابري) للتراث"التراث كغيره العربي كغيره من التراث أثر وتأثر بحضارات غيره من الأُمم والشعوب قديماً وحديثاً، وزاد في إخصابه تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية".11 نستنتج من خلال هذا التعريف بأن التراث هو حصيلة ذلك التأثير الحاصل بين الحضارات، والذي يحفظ استمرارها."وعلى ذلك فالتراث العربي هو المخزون الثقافي والمتوارث من قبل الأجداد والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية، بما فيها من عادات وتقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في التراث أم مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن،وبعبارة أكثر وضوحاً إن التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا، وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه سواء في أقواله أو أفعاله".12ومعنى ذلك أن التراث هوذلك الكم الهائل الذي وصلنا من طرف الأجداد والآباء سواء أكان في أفعالنا أو أقوالنا.

فالتراث ليس ماضياً فحسب بل امتلك ميزة مكنته من الاستمرارية في الحاضر والقدرة على الحياة، فهو عند (حسين مروة)"كائن حي متحرك بصيرورة الحياة الواقعية التي ينبثق منها ويحيا فيها ومعها، وهي بدورها تحيا فيه ومعه، ولكن بشكل آخر ربما كان شكلها الأرقى، وربما كان شكلها الرافض لها، وربما كان تعبيراً عن صراعها هي مع نفسها".13ورغم التعاريف المتباينة للتراث إلا أنها تشترك في الإشارة إلى أهميته البالغة بوصفه هوية الأُمة وكيانها، فهو يطرح نفسه على الجميع،وهذا ما جعل المبدع أو الكاتب بحاجة إلى التواصل مع تراث أُمته قصد الاستفادة منه،فهو "بكل أبعاده ومساراته يشكل قضية أساسية لا يمكن تجاهلها، وبناءً ضخماً لايمكن تجاوزه عند دراسة أي قضية أو ظاهرة اجتماعية".14

وفي عصر النهضة أصبح الاهتمام بالتراث محدداً في الدعوة لاسترجاع الهوية التي حاول الاستعمار طمسها وإذ غدا وسيلة دفاع "لأن العودة إلى التراث في حياتنا المعاصرة هي جزء من عملية الدفاع عن الذات".15

وقد استطاعت الجزائر أن تحافظ على ثقافتها عن طريق الزوايا والكتاتيب التي كانت تنتشر في المدن والأرياف، ومع تداول العامة لموروثها من خلال السماع ومن خلال ما تمارسه من عادات وتقاليد كانت ترسم خصوصية هذا الموروث الثقافي.

فالتراث يشمل الإنتاج المادي والنتاج الفكري الذي تركه الأسلاف والذي نذكر منه بعض النماذج التي تم توظيفها من طرف الروائيين الجزائريين المعاصرين في متون رواياتهم مما أنتج علاقة ذات أبعاد فنية وفكرية بينها وبين الموروث الشعبي.

**ثانيا-ملامح استحضار التراث الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة:**

إن توظيف التراث في الرواية يُعد أحد أوجه الجمال الإبداعي فاستحضار أشكال دينية وتاريخية وأسطورية تجعل من التراث وسيلة تسهم في إغناء التجربة الروائية وكذا ربط الصلة بين الماضي والحاضر وتزويد النص الروائي بطاقات فنية ثرية.

لقد تميزت الرواية الجزائرية منذ نشأتها بأكثرمن توجه جمالي ولغوي جعلها مفتوحة على مختلف أسئلة الإنسان الجزائري، وهواجسه من أجل تحقيق الذات التي حاول الاستعمار الفرنسي محوها، فظهرت بذلك نجوم لمعت أسماؤها في سماء الرواية الجزائرية متميزة بتعدد لغتها وطبيعة نظرتها إلى الفن وعلاقته بالإنسان والمكان،وأمثال ذلك نذكر لا للحصر:مولود فرعون،محمد ديب، مالك حداد، آسيا جبار، الطاهر وطار، كاتب ياسين، رشيد بوجدرة، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، لحبيب السائح، عز الدين جلاوجي...وغيرهم الكثير.

وعرفت العشرية الأخيرة من القرن الواحد والعشرين ظهور أقلام راهنت على استثمار التراث الثقافي الشعبي من محكيات وأساطير وتصوف وسير وقاموس لغوي يحيل إلى الهوية الجزائرية حتى باتت تشكل تياراً لافتاً للانتباه على أكثر من صعيد ،وقد كان الروائي المعاصر أكثر المتعاملين مع التراث دينامية وتحريراً، ويبرز ذلك بجلاء من خلال نجاح الروائي الجزائري المعاصر في ترهين النظر إلى التاريخ وإقامة صلَاته بالواقع في مختلف تجلياته، فالتراث يجسد الهوية الحضارية للإنسان والمحافظة على الخصوصية الثقافية للمجتمع، فهو يوجه الأُمة في مسيرتها ويمدها بالقوة المعنوية والثقة بالنفس كما يساعد على الإبداع، فمن دون العودة إلى حدود تاريخية وأصول تراثية ماوجد الإبداع.وبما أن الرواية قد أصبحت ملحمة العصر الحديث والمعاصر كونها أكثر الأجناس الأدبية التصاقا بالتراث وأوثقها صلة به، فباتحادهما "يصبحان كالمرايا متناظرة تتراءى فيها الأبعاد متداخلة، وتبدوا فيها الذات رواية مروية وروائية مرئية".16 فقد تمكن الروائي المعاصر من الاشتغال على التراث الثقافي الشعبي بشقيه المادي والمعنوي،مما أعطى للتراث أبعاداً أستطاع من خلالها تأسيس هوية لنصه الروائي من هوية البيئة التي أنتجته، فقد نالت هاته الأبعاد توظيفاً مميزاً لديهم،وذلك لما قدمه من مضامين حول التراث بكل أنواعه.

**ثالثا-تجليات التراث الشعبي داخل النص الروائي الجزائري "الأسود يليق بك" أنموذجاً:**

"الأسود يليق بك" رواية من تأليف الروائية أحلام مستغانمي، صدرت عام 2012عن دار النشر بيروت لبنان. تسرد قصة مليونير لبناني ناهز عمره خمسين عاماً أعجبته مطربة جزائرية شابة في السابعة والعشرين

من عمرها، شاهدها مصادفة في برنامج تلفزيوني، فقرر أن تكون له، فيبدأ البطل الذي جاهد ليثري محصوله الثقافي في الموسيقى، والفن، والشعر إلى وضع الخطة تلو الخطة للإيقاع بهذه الحسناء التي ترتدي الأسود حداداً على مقتل والدها وأخيها خلال الاضطرابات التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن الحالي.

تعد الرواية من الأجناس الأدبية التي تتميز بمرونة متنها،فتنصهر داخلها عدة فنون أدبية تتماشى مع طرائق السرد فيها، وتنفتح على سياق النص فتمنحه الوعي اللساني والحس الخاص به، فيما يرجع لحدوده التاريخية والاجتماعية والعقائدية من خلال توظيف عدة أشكال من التراث الشعبي، فيصبح كل خطاب موضوعاً لخطاب آخر وهي فكرة حوارية بالأساس، حيث تتخلل الرواية أجناس أدبية وأنساق ثقافية تدخل إلى عالمها كخطاب لا يفقد خصوصيته الغيرية، ولكنه في الوقت نفسه يندمج مع الخطاب العام للرواية.

"فالرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواءً أكانت أدبية (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أم خارج أدبية (دراسات من السلوكيات نصوص بلاغية وعلمية ودينية ...)،إذ دور الأجناس المتخللة كبير جداً لدرجة أن الرواية يمكن أن تبدوا كأنها مجردة من إمكانيات الأولى في المقاربة اللفظية للواقع ومتطلباته لتشييد أولي لذلك الواقع بواسطة أجناس تعبيرية أخرى"17. وللتراث الشعبي دور مهم في نسج أحداث الرواية من خلال المزج بينها بما يخدم النص الروائي للوصول إلى الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، وفي مدونة "الأسود يليق بك" تبرز لنا عدة أنساق ثقافية، بعضها تم إنجازه من طرف الروائية مستخدمتاً واقعية مستمدة من بيئتها الاجتماعية،قامت بتركيبها على مستوى الفضاءات وسائل السردية بصورة متخيلة، لتكون أكثر تجريداً ومحايثة للواقع من حيث الصياغة الشعرية،وأعمق دلالة من الناحية الرمزية، حيث تكون مرجعية مألوفة في الواقع،ومواد بناءه مستمدة من الواقع، باعتباره مصدراً ينطلق منه وينتهي إليه الخطاب الروائي، لكن طريقة تركيب تلك العناصر والمكونات وتشكيلها وكيفية تفاعلها مستوحاة من نسج خيال المبدع، ومن خالص صنعته الفنية، فتنشأ لنا فضاءات زمنية ومكانية، وشخصيات تحمل تركيب نظيرتها الموجودة في الواقع دون أن تحمل منطقه ونظام سيره لتعود في النهاية بدلالة رمزية، تشير إليه دون أن تصرح وتوحي بالمعنى دون أن تعلنه، وتعلق على أحداثه من خلال ما يتفاعل في فضاء المتخيل من واقع أقيمت على واقع مواز لم يشأ أن يكون موازياً للواقع الأصلي إلا من أجل خلق مساحة تعبيرية رمزية بين الواقع الأصلي والمتخيل لقول ما لم يمكن قوله علناً وتحرير ما كتبه الواقع في النفس من حقائق ومواقف، في خطاب رمزي محمول على علامات ظاهرة وأخرى مخفية بين السطور في لغة شعرية داخل النص الروائي. تظهر من خلالها قدرة المبدع التخيلية والتصويرية في نسج فضاءات يصب فيها فلسفته ويبلور فيها موقفاً فنياً من العالم والوجود "يشكل الفضاءمعياراً لقياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية"18،لذلك فالتعبير عن أفكار الإنسان وثقافته بمختلف تراثه الشعبي لا يتم إلا داخل فضاء مخيالي ما ينظمها فيه وهناك أنساق جاهزة هي أنساق صاغها المجتمع، وقد تمكنت الروائية أحلام مستغانمي من استثمار الأجناس الأدبية، والأشكال التراثية الشعبية في بناء عالم روايتها لأنها تتقن صناعة الكلمة الشعرية ولترتقي بلغة الكتابة الروائية إلى مستوى جمالي تبرهن فيه على إذابة الحدود الوهمية في صناعة الكلمة الأدبية لتعلن عن أسلوبها ومذهبها الإبداعي، فنجدها قد وظفت عدة أنواع من التراث الشعبي بطريقة مضمرة وتصريحية لتصل بأفكارها إلى وعي المتلقي الفردي والجماعي، ومن أهم تلك الأشكال الموظفة في رواية" الأسود يليق بك":

**رابعا-أشكال التراث الشعبي:**

يعتبر التراث الشعبي من أبرز الأنساق الثقافية التي حاولت الروائية أن تصيغها داخل روايتها وذلك بربط الملفوظ بالوعي الاجتماعي، فالأمثال الشعبية تأتي في أقصى صور التكثيف والإيجاز مع بعد رمزي يستند إلى ثقافة عامة مشتركة فهي تمثل موقفاً تقويمياً جماعياً حيث نجد الفارابي يقول:"والمثل من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في النفاسة"19، فهو يعبر عن ذهنية الأمة، وواقعها وطموحاتها، وقد ساهم في تشكيل الخطاب السردي ليصبح جزء من الرواية، باعتبارها بنية كبرى منفتحة على كل الخطابات والأنساق، ومن بين الأمثال الموظفة في رواية "الأسود يليق بك"ما يلي:

**-" ياكلني الحوت ولا ياكلني الدود.."**[20]

وهذا المثل يعبر عن حالة القهر واليأس التي يعاني منها الشباب الجزائري البطال والتي دفعته للهجرة الغير شرعية وتفضيل الموت غرقاً على البقاء في الوطن الذي يحول دون تحقيق أحلامه وطموحاته.

**-"يا قاتل الروح وين تروح؟**[21]

وهي مقولة شعبية تقال عن أي شخص يقوم بعمل سيء بأنه لن ينجو من عقاب الله على فعلته. وهنا نجد أمهالة التي ثكلت وترملت لم تغفر لمن قتل ابنها وزوجها رغم صدور قرار العفو المدني.

**1-القصة الشعبية:**"هي قالب من قوالب التعبير يعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معينة تجي بين شخصية أو شخصيات متعددة في قصها وسردها على عنصر التشويق حتى يصل القارئ أو السامع إلى نقطة معينة تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة،ويتطلع المرء معها إلى الحل حتى يأتي في النهاية،غير أن بعض النقاد لا يرى العقدة والحل لازمين في القصة."

ونجد الروائية قد نهلت من الموروث الشعبي الجزائري الحكائي وبالتحديد من التراث الشاوي والتي تروي قصة وفاء النساء المحافظات "الشاويات" على أسرهن وعلى أزواجهن وأبنائهن.

"يُحكىأنه ذاع صيت جمال إحدى الفلاحات حتى تجاوز حدود قريتها، فتقدم لخطبتها أحد الباشاغات، لكنها رفضته لأنها كانت تحب ابن عمها،عندما علم الباشاغا بزوجها، استشاط غيضاً ولم يغفر لها أن تفضل عليه راعياً فدبر مكيدة لزوجها وقتله، كانت حاملاً، فانتظر أن تضع مولودها، وتنهي عدتها،ثم عاود طلبها للزواج،وانتقد أطلقت اسم زوجها على مولودها فردت عليه "إن كنت أخذت مني عياشالأول فإني نذرت حياتي لعياش الثاني"،فازداد حقده،وخيرها بين أن تتزوجه أويقتل وليدها،فأجابته بأنها لن تكون له مهما فعل.

ذات يوم، عادت من الحقل فلم تجد رضيعها،وبعد أن أعياها البحث، هرعت إلى المقبرة،فرأت تراباً طرياًلقبر صغير، فأدركت أنه قبر ابنها،وراحت تنوح عند القبر و"تعدد"بالشاوية بما يشبه الغناء "آاعياش يا مي"،فأقبل الناس عند سماعها تنادي "يا عياش يا بني"يسألون ما الخطب،وما استطاعوا العودة بها، فلقد لزمت القبر الصغير ظلت تغني حتى لحقت بوليدها وزوجها ".[22]

**2-التراث الديني:**

مما يلاحظ في رواية "الأسود يليق بك "أنها جاءت بشكل أبواب أو أجزاء معنونة بمقولات لمفكرين وأدباء، وقد أوردت من بين تلك المقولات حكمة الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه وهي: "أحب من شئت فأنت مفارقه."[23]وهي من التراث الإسلامي العربي.

**3-التراث الشعبي التاريخي والسياسي والأيديولوجي:**

جاء النسق التاريخي داخل الخطاب الروائي واضحاً ومرتبطاً بأحداث، فالزمن هو بطل الروايات الحديثة، وهو زمن مطابق للزمن التاريخي التوثيقي والراوي لا ينسج الوثيقة التاريخية بل يعيد صياغتها وقراءتها.

_"روى لها أنه أثناء حرب التحرير...إلى كافة الأهالي".24

من خلال هذه الأسطر نجد الروائية تحاول أن تعود بالقارئ إلى فترة الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، وكيف كان جدها يصعد إلى أعلى مرتفع من الجبل للقيام بنوبة الحراسة للقرية لتنبيه المجاهدين عند قدوم الاستعمار الفرنسي، وهنا نرى خطاب مضمر داخل هذه الكلمات يتمثل في الإشارة إلى قلة الإمكانيات وإلى إبراز شجاعة وبسالة رجال الأوراس الذي يُعد مهد الثورة الجزائرية.

-"ثم حدث على أيام الرئيس بوضياف ... دراسته هناك "25.

هنا نجد الروائية توثق لأحداث فترة معينة عاشتها الجزائر بعد الاستقلال وهي بداية الثمانينات مع إنشاء الجامعة الإسلامية بقسنطينة والتي ترى الروائية بأنها "كانت جامعة قسنطينة ممرا إجباريا لكل الفتن، ومختبراً مفتوحاً على كل التطرفات".26

لتسرد أحداث العشرية السوداء والتي نالت جزءاً وافراً من أحداث الرواية والتي كانت سببا في تشكيل شخصية البطلة هالة فقد قتل المتطرفين الإرهابيين والدها، وتم تجنيد أخيها الطبيب علاء ثم تم اغتياله من طرف الإسلاميين.

وهنا نلمس نسق من السياسي، وإيديولوجي فهي قد بدأت الحديث عن جد هالة كمدخل إلى تاريخ الجزائر لتصل إلى المأساة الجزائرية في أحداث العشرية السوداء من تعصب ديني وجماعات إرهابية وقتل للأبرياء وصولاً إلى المصالحة الوطنية والعفو الشامل في عهد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة1999م حيث نجدها تقول:

-"لو بقينا كل واحد ثاروا بيدوا...ما حد غيرو كان قدر علي. "27

-"كان فيه شيء من غيفارا ... ما تمناه تماماً".28

وتظهر الأنساق التراثية الثقافية مضمرة من خلال الخطاب التاريخي الموثق وهي رفضها للإرهاب وعدم اقتناعها بالعفو المدني.

**4- التراث الشعبي المادي من عادات وتقاليد:**

تزخر رواية " الأسود يليق بك " بالتمثلات الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والتي جاءت كلون يصبغ الخطاب الروائي ليعطيه خصوصية متميزة ومن أمثلة ذلك:

"لا شيء من تلك(الزردات) ... كل من يحضر."29

تظهر ملامح التقاليد الاجتماعية الجزائرية من خلال استعمالها لكلمة "الزردات" وهي مأدبة جماعية يقوم بها الجزائريون في الأفراح والمناسبات.

"-لاحقاً ستدرك أن من يجلس أمام صحن كبير ... على استخدام فرشاة أسنان واحدة ".30

وهنا معاني مضمرة أبقتها الروائية حديثاً داخلياً لهالة بطلة روايتها بأن الأنانية لا تكون في الحب، وأن الحب هو المشاركة والتماهي مع الطرف الآخر.

-"وهاهو جسدها يستعيد فجأة ذاكرته القبلية، ورجال قبيلتها يباشرون نوبة حراستهم وقد خالهم غادروا".31

إن المجتمع له قيوده وأحكامه العرفية التي ينشأ على منوالها كل فرد من ذلك المجتمع لتصبح ترسبات تتحكم في اللاوعي الفردي، فلا يمكن التخلص منها، فالثقافة السائدة في المجتمع هي السلطة العليا التي تتحكم في تصرفاته.

**5-التراث الشعبي المعنوي من اللهجات المحلية والأجنبية داخل اللغة العربية الفصحى:**

ونجد بعد آخر للتراث الشعبي ونسق ثقافي متمثل في إستعمال الروائية لوحدات عامية ذات طابع محلي متمثل في اللهجة العامية الجزائرية مثل:

**- اللهجة الجزائرية المحلية:**

-"نصيرة تسلم عليك بزاف، طلبت مني تليفونك نعطيهولها؟"32

"لوكنت رايحة نغني ...وأنت جايني لابس كوستيم وحاط الجال على شعرك ..."33

"أنا منيش متاع هذا الشيء ... شوف واحد آخر معاك."34

- "نتزوج ؟ علاه هبلت ..."نتزوج ؟ راهم أكثر من ثلاثة ملايين بايرة في الجزائر."35

إن استعمال اللهجات المحلية اللهجة الجزائرية لم يأتي اعتباطيا، بل عن قصدية ووعي لتقريب اللغة الدارجة وربطها بكيان الروائي كنسق ثقافي و موروث شعبي أبرز العنصر السوسيولساني للهجنة الدارجة في الجزائر ، وهذا يعود بالفائدة على اللغة لأنه يعمل على تشييد صوتها، يقول (باختين) أن: "التهجين القصدي الموجه نحو الفن الأدبي هو إحدى الطرائق الأساسية لبناء صورة اللغة، ويجب أن ندقق أنه في حالة التهجين فإن اللغة التي تضيء (عادة تكون نسقاً من اللغة الأدبية المعاصرة) تتخذ طابعاً موضوعيا إلى حد ما،لتصبح صورة، وكلما طبقت طريقة التهجين في الرواية بطريقة واسعة وعميقة... كلما اتخذت اللغة المشخصة والمضيئة طابعاً موضوعياً لتتحول في النهاية إلى إحدى صور لغة الرواية".36

ومن هذه الأمثلة نستشف دور التراث الشعبي الثقافي في تشكيل الخطاب الروائي، من خلال توظيف التراث الثقافي من عادات وتقاليد ومعتقدات، وأساليب التفكير وطرق الحياة المرتبطة بالثقافة وكيف اشتغلت جماليات التراث الثقافة وجماليات الأدب حيث ضمت الثانية الأولى لأن الجماليات الأدبية رغم أهميتها إلا أنها غير كافية لمشروع النقد الثقافي. وتعتبر الرواية من أهم الأنواع الأدبية التي تختزن أشكال التراث الشعبي الثقافية المادية منها والمعنوية.

**خاتمة:**

لقد أصبح الخطاب الروائي الجزائري المعاصر جزء ملتحم بالخطاب الثقافي المتمثل في التراث الشعبي، وقد دنا عدد من المفكرين والمثقفين والباحثين من خلال نظرتهم إلى الإبداع الروائي وعلاقته بالمجتمع، من تشخيص تجاذب النص السردي بين الذات والتاريخ والمجتمع، وهو تشخيص يُحيل على مرجعيات رصيد الانطلاق الذي يعود إلى أسئلة الواقع المتجددة ومرجعها الثقافي الطويل.

ولعل في عودة الروائي إلى سؤال علاقته بالمجتمع، والإنسان، لهو تأكيد على أن وجودنا الأنطولوجي والحضاري رهين بمدى قوة ثقافتنا، وهذا ما جعل الروائي المعاصر يترصد الانساق الثقافية من التراث الشعبي

بوعي جمالي ليكسب نصه نوع من الخصوصية التي تربطه بهويته وانتماءه فظهر ذلك جلياً في الإنتاج الإبداعي، خصوصاً في فن الرواية.

تعد الرواية شكلاً من أشكال التراث الشعبي ضمن سياق المجتمع والاقتصاد والسلطة والسياسة التي تسهم في تشكيل خاصية ثقافة ما.

لقد استطاع التراث الشعبي في ولوجها إلى عالم الرواية أن تشكل تكامل وظيفي منح النص الروائي جمالية خاصة مستمدة من نبض حركة المجتمع، مما أعطاه صبغة ما يطلق عليه بالكتابة التجريبية، التي تحاول تجاوز المألوف إلى ما هو غير مألوف لكن بوعي ناضج، وفن متحكم في آلياته.

تمكنت الروائية أحلام مستغانمي أن تثري الخطاب الروائي في روايتها "الأسود يليق بك"، بتوظيفها لمعظم الأشكال التراثيةالثقافية التي أبرزت من خلالها هويتها وانتمائها الحضاري والثقافي والعقائدي واتجاهها الفكري بأسلوب أدبي راقي ومتمكن.

نجح النقد الثقافي في التمييز بين ثقافة الآداب، فلكل مجتمع أنساقه الثقافية التي تميزه عن مجتمع آخر، وهذا ما تظهره الأعمال الأدبية داخل خطاباتها الروائية.

إن النص الروائي مهما اختلفت تجاربه وتعددت يظل ينهض بدور مخصوص في رسم المبدأ الحواري بين الأجناسالأدبية وغيرها كالأنواع التراثية الثقافية ووصل الحاضر بالماضي ومسألة الذاكرة الجمعية التي تُعد مصدراً أساسياً من مصادر الكتابة، ولا غرابة أن تتشرب الرواية من النصوص والخطابات القريبة والبعيدة مادامت النوع المنفتح على جميع الأنواع الأدبية، بل مصب الأنواع كلها.

## هوامش وإحالات المقال

[1]- سعيد سلام، التناص التراثي في الرواية الجزائرية نموذجاً، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط2010،1، ص15،14

[2]- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، دط، 2008م، ص8

[3]- إبن منظور، لسان العرب، ط1، ج2، مادة (ورث)، دارصادر، بيروت، 1997م، ص4224

[4]- سورة آل عمران الآية180

[5]-عبد السلام هارون، التراث العربي، دط، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص5

[6]-جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دط، دار العلم للملايين، بيروت ،1986م، ص63

[7]-حسن حنفي، التراث والتجديد، مواقفنا من التراث القديم، ط5، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ،2002م، ص13

[8]-Petit Larousse en couleurs hibrairelarousse(canada)limiteé,édition1989,page500

[9]-Joset rey DEBOU.ET Alain Rey /Nouvelle idition,dictionnaire de longue Francaise, depaul Robert,Paris,2004,Page1872

[10]-شمس الدين موسى، الفنون الشعبية، ثقافة وحضارة، دط، جريدة الفنون، يونيو 2002م، ص60

[11]-محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1992م، ص14

[12]-سيد علي إسماعيل، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 2007م، ص40

[13]-حسين مروة، دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، دط، دت، ص464

[14]-حمودي العودي، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني، عالم الكتب، القاهرة، ط1981،2م، ص 101.

[15]-محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1991م، ص252

[16]-سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992

[17]-ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، منتديات دار العرب، القاهرة، ط1، 1987م، ص 212

[18]-نجمي حسن، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص32.

[19]-الفارابي، ديوان الأدب، تر: محمد عنترعمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1974م، ص74

[20]-أحلام مستغانمي،الأسود يليق بك،دار نوفل للتوزيع والنشر،بيروت،لبنان، 2012م،ص93

[21]-الرواية،ص195

[22]- عزيزة مريدن،القصة والرواية، دار الفكر،دمشق،ص13

[23]- الرواية،ص294

[24]- الرواية،ص64

[25]- الرواية،ص68

[26]- الرواية،ص196

[27]- الرواية،ص69

[28]- الرواية،ص252

[29]- الرواية،ص252

[30]- الرواية،ص278

[31]- الرواية،ص24

[32]- الرواية،ص73

[33]- الرواية،ص74

[34]- الرواية،ص 93

[35]-الرواية،ص67

[36]- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، منتديات مكتبة العرب، القاهرة، ط1، 1987م، ص88، 89

المصادروالمراجع:


- سعيد سلام،التناص التراثي في الرواية الجزائرية نموذجاً، عالم الكتب الحديث للنشروالتوزيع،إربد،الأردن،ط1،2010،
- عبد الحميد بوسماحة،الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة،دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، دط،2008م
- إبن منظور،لسان العرب،ط1، ج2،مادة (ورث)، دارصادر،بيروت،1997م،
- عبد السلام هارون، التراث العربي، دط،دار المعارف،القاهرة،1978م،
- - جبورعبد النور،المعجم الأدبي،دط،دار العلم للملايين،بيروت ،1986م،

Petit Larousse en couleurs hibrairelarousse(canada)limiteé,édition1989,-حسن حنفي، التراث

- والتجديد، مو اقفنا من التراث القديم،ط5،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت ،2002م،
- -Joset rey DEBOU.ET Alain Rey /Nouvelle idition,dictionnaire de longue Francaise, depaul Robert,Paris,2004
- شمس الدين موسى،الفنون الشعبية،ثقافة وحضارة،دط،جريدة الفنون،يونيو2002م،
- -محمد عابد الجابري،التراث والحداثة،المركز الثقافي،دط،الدار البيضاء،المغرب،1992م

سيد -حسين مروة،دراسات في ضوء المنهج الو اقعي،مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت، دط،دت

- علي إسماعيل،أثر التراث في المسرح المعاصر،دار قباء للطباعة والنشروالتوزيع،دط،القاهرة، 2007م
- -حمودي العودي، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية،دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني،عالم الكتب، القاهرة،ط1981،2م،
- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة،دراسات ...ومناقشات،مركزدراسات الوحدة العربية،بيروت، لبنان، 1991م
- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي،المركز الثقافي العربي،ط1، 1992
- الفارابي، ديوان الأدب، تر: محمد عنترعمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1974م،
- نجمي حسن، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية،الدار البيضاء،المغرب،ط1، 2000م
- أحلام مستغانمي،الأسود يليق بك،دار نوفل للتوزيع والنشر،بيروت،لبنان، 2012م
- عزيزة مريدن،القصة والرواية، دار الفكر،دمشق،
- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، منتديات مكتبة العرب، القاهرة، ط1، 1987م،
-